مقياس: فلسفة النقد

السنة الثانية ليسانس (دراسات نقدية)

المحاضرة الرابعة: الفلسفة المادية للنقد

1- تعريف الفلسفة المادية: (Matérialisme)

تقوم الفلسفة المادية على اعتبار أن العالم مكون من شيء واحد هو (المادة)؛ التي هي أساس كل شيء موجود، ولذلك فهم ينكرون وجود الروح والعقل والنفس، وكذلك الدين الذي يقول بوجود خالق للكون والإنسان.

فالمادية ترفض موضوع الميتافيزيقا، وترفض وجود الخالق، وأن وجود كل شيء يستند إليه، وترى أن ذلك أوهام وغيبيات أوجدها الإنسان غير القادر على تفسير ما يحدث حوله من ظواهر فراح يعزوها إلى قوى خارقة موجودة خارج الطبيعة.

وبذلك فالمادية ترى أسبقية المادة على الفكر، والفكر والمعرفة ليست مستقلة عن الواقع المادي، يقول إنجلز: "إن معرفتنا وأفكارنا مهما بدت لنا متعالية ليست سوى نتاج لعضو مادي هو الدماغ"، فلا فكر دون مادة؛ إذ لا يمكن فصله عن الحواس، ويتضمن هذا أن العالم أبدي، وأنه لا محدود في الزمان والمكان، والمادية – إذ تذهب إلى أن الوعي نتاج للمادة – تعتبره انعكاسا للعالم الخارجي، ومن ثم تؤكد إمكان معرفة العالم.

2- أسس الفلسفة المادية:

تقوم الفلسفة المادية على الأسس الآتية:

- لا وجود إلا للمادة.
- المادة أزلية لم تخلق ولا تفنى.

- كل ما في الوجود من أشياء تكونت بمحض المصادفة من حركات هذه المادة الأزلية.
- لا وجود للخالق ولا الملائكة ولا الجن، والأديان كلها باطلة (إلحاد).
- طبيعة كل شيء وخصائصه هي نتيجة تركيب معين لذرات هذه المادة.
- كل من العقل والروح والنفس والفكر؛ هي شكل من أشكال المادة لارتباطها بها.
- تشكيلات المادة وحركاتها خاضعة لقوانين الطبيعة والحالات النفسية والحوادث التاريخية من غير حاجة إلى الإيمان بقوة وراء الكون تحفظه وتسيره.
- الإنسان سيد نفسه ومالك لمصيره، فهو وحده المسؤول عن أن يشرع لنفسه في السياسة والاقتصاد والاجتماع، وسائر جوانب حياته.

3- الفلسفة المادية بين القديم والحديث:

وقد ظهرت أول النظريات المادية إلى حيز الوجود مع ظهور الفلسفة كنتيجة لتقدم المعرفة العلمية في ميادين الفلك والرياضيات وغيرها من الميادين في المجتمعات القديمة، في الهند ومصر والصين واليونان، وعد من فضل المادية القديمة أن أنشأت فرضية عن البناء الذري للمادة (ليوكيبوس وديمقريطيس)، وكانت السمة العامة للمادية القديمة؛ هي الاعتراف بمادية العالم ووجوده المستقل خارج وعي الانسان.

وتطورت المادية في أوروبا في القرنين السابع عشر والثامن عشر (بيكون وغاليليو وهوبز وغاسندي وسبينوزا ولوك)، وقد تطور هذا الشكل من المادية على أساس الرأسمالية الناشئة، والنمو الحادث في الإنتاج والتكنولوجيا والعلم.

وقد تطورت فلسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر مصاحبة للتقدم السريع – في ذلك الوقت – للميكانيكا والرياضيات، ونتيجة لهذا كانت المادية الآلية.

وقد احتلت المادية الفرنسية في القرن الثامن عشر مكانة خاصة في الفلسفة المادية لتلك الفترة (لامتوي وديدرو وهلفيتيوس وهولباخ). وكان الماديون الفرنسيون يلتزمون – على وجه

العموم – بالمفهوم الآلي للحركة معتبرين إياها صفة كلية غير قابلة للتغير من صفات الطبيعة، ورفضوا تماما تناقضات نزعة تأليه الطبيعة، التي كانت تميز معظم الماديين في القرن السابع عشر.

وكانت ذروة التطور في هذا الشكل من المادية في الغرب مادية فيورباخ القائلة بالمذهب الطبيعي في دراسة الانسان.

واتخذت المادية خطوة أخرى إلى الأمام في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في روسيا وغيرها من بلاد شرق أوروبا على يد فلسفة الديمقراطيين الثوريين (بيلنسكي وهيرزن وتشيرنيشفسكي ودوبروليوبوف وماركوفيتش وبوتييف وغيرهم).

أما أعلى أشكال المادية وأكثرها تماسكا فكان المادية الجدلية التي اعتنقها كارل ماركس وفريديريك إنجلز في منتصف القرن التاسع عشر (وتعد العقيدة الرسمية للشيوعية)، وكان لهذه الفلسفة أثر في ظهور الواقعية الاشتراكية في الأدب.